نتائج سياسية لكفاءة الصمود

كانت المفاجآت، وكذلك النتائج التي تفرزها الحرب، تتضح تباعاً بمضي الوقت، حتى قبل أن تحكم قوات الغزو حصارها لمدينة بيروت. وعندما أحكم الحصار وغاب الأمل بامكانية وصول نجدات عسكرية عربية استفردت آلة الحرب الاسرائيلية بالمدينة المحاصرة وانساقت في حمّى التدمير فصبت على خمسة وعشرين ألف مبنى في غرب بيروت أكثر من نصف مليون صاروخ وقنبلة من الجو والبحر والأرض. وفي الصمود ازاء ذلك وفي استمرار المقاومة ببسالة منقطعة النظير، ظهرت على أتمّ وجه مصداقية منظمة التحرير التي لم تقبل الخضوع للشابتاج الاسرائيلي فرفضت الاستسلام دون قيد أو شرط كما شاءت اسرائيل. كما ظهر مدى التفاف الجماهير الفلسطينية واللبنانية الوطنية حول المنظمة حين تحملت هذه الجماهير الحجم الهائل من البلاء دون تذمر، بل حين شدت أزر قيادة المنظمة وقدمت للمقاتلين أوفر المساندة المعنوية والمادية من أجل المساعدة على اجراء مفاوضات فك الحصار بصورة لا ترغم القيادة على القبول بالاستسلام تحت وطأة التهديد بالتدمير الشامل للمدينة الصامدة.

ولو شئنا أن نتحدث عن بسالة صمود بيروت الغربية، مقاتلين ومواطنين غير مسلحين، فسيتعذر استيفاء كل مظاهر هذا الصمود مهما أفضنا. يكفي أن نقول أن الدفاع عن بيروت الغربية وهي محاصرة من البحر والبر والجوّ، وقد سيطرت قوات الغزو على كل سبل ايصال الذخائر والأسلحة والمؤن والأدوية وحجبت الماء والكهرباء عن المدينة وسلطت عليها عشرات ألوف القذائف يومياً بينما لم تتوقف الاشتباكات المباشرة على معابرها ومداخلها وشطوطها، قد أدخل معركة بيروت على قائمة المعارك الكبرى في تاريخ البشرية للدفاع عن الحرية والشرف الوطني والقيم الانسانية التقدمية بأتم مظاهرها ومعانيها. ويمكن الآن لكل منصف ممن تعنيهم هذه القيم في أي مكان في العالم أن يضيف معركة بيروت الى معارك كومونة باريس وحصار ستالينغراد وكل المعارك الأخرى التي تلهم الأجيال المتعاقبة من المناضلين من أجل الحرية.

أما التأثير المباشر لصمود بيروت في مجريات الحرب، فقد تجلى، عسكرياً، في تأكيد القناعة باستحالة اقتحام الجيش الغازي للمدينة دون خسائر ضخمة ودون أن يتورط في احداث دمار شامل، وبالتالي في تشديد المعارضة الاسرائيلية الداخلية لهذا الاقتحام وبالطبع المعارضة الدولية، كما تجلى، سياسياً، في مفاوضات فك الحصار وخروج مقاتلي المنظمة من الحصار. وبعد أن كانت اسرائيل تعمل للقضاء على المقاتلين، ولا تفرض عليهم سوى الموت أو الاستسلام دون قيد أو شرط، وتأمل أن تضيف الى ذلك خروج الفلسطينيين من لبنان كله، أرغمت على الدخول في مفاوضات طويلة وعسيرة. وتمسكت المنظمة، خلال المفاوضات، بموقفها القابل بخروج مقاتليها من بيروت، صيانة للمدينة من الدمار الشامل، على أن تظل القوات الاسرائيلية، أيضاً، خارجها، وعلى أن يتبع خروجهم انسحاب اسرائيلي من أطراف المدينة. واشترطت المنظمة أن يخرج المقاتلون الفلسطينيون كطرف محارب معترف له بهذه الصفة، وأن تتوفر ضمانات دولية ليس من أجل سلامتهم وحدها، بل أيضاً لاستمرار البحث الدولي عن حل مناسب للقضية الفلسطينية تكون